

المقدمة

يعد البحث وسيلة من وسائل الكشف عن الحقيقة وبيان ما خالطها من شوائب ومؤثرات؛ فهو أداة بيد الباحث لدراسة ما غمض من أحداث ووقائع وما صاحبها من ملابسات وللتنقيب في خفايا الأمور، ولا بدّ والحالة هذه من اتخاذ سبيلاً في كشف أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية موضوع الدراسة، بما يميّط اللثام عما غمض منها وما اعتراه من شوائب؛ لذا حاول البحث أن يرصد جانباً مهماً من التاريخ العربي الإسلامي، وهو العصر الأموي الذي كان موقع نقاش متواصل بين المؤرخين.

ولم تكن دراسة الأحداث التاريخية بعيدة عن تراث العرب المسلمين في الشعر والنثر؛ وإنما غالباً ما يستشهدون بها لتوكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية فيه بوصف الشعر العربي سجلاً لمآثر العرب، فهو موضع علمهم وموطن بلاغتهم والمفصح عن بيانهم في قوة الألفاظ ودلالات المعاني، وهو العصر الأموي الذي كان موقع نقاش متواصل بين المؤرخين.

ولم تكن دراسة الأحداث التاريخية بعيدة عن تراث العرب المسلمين في الشعر والنثر؛ وإنما غالباً ما يستشهدون بها لتوكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب خفية فيه بوصف الشعر العربي سجلاً لمآثر العرب، فهو موضع علمهم ومواطن بلاغتهم والمفصح عن بيانهم في قوة الألفاظ ودلالات المعاني، وهو جامع لعناصر ثقافتهم ولسمو أفكارهم، والمعبر عن قوة الحدس ورفق الشعور، والكاشف عن اتصال العقل بالعواطف. فلا غرو أن تحفل كتب التاريخ والأدب والفكر والتراجم والفرق بالشواهد الشعرية مما يعكس الأهمية الكبيرة للشعر في حياة وسلوك العربي

فهو جزء لا يتجزأ من كيان إنساني ينمو ويتطور فيغرس آثاره وأحاسيسه في كل جانب من جوانب حياة العربي وفي كل رافد من روافد ثقافته وخبرته لأن الأحداث التاريخية شكلت مادة رئيسة في قراءة الماضي وكشف أبعاده الحضارية فإن الشعر واكب هذه الأحداث وأثر فيها تأثيراً واضحاً فكان ذلك مثار اهتمام الباحثين فلا يخلو مصدر من مصادر التاريخ من استشهاد بالشعر، و موقف لشاعر، أو رجز انطلق من حرارة الأحداث فأسهم في تدوينها.

وإذا كان العصر الأموي الممتد تاريخياً من سنة (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) يعد عصرًا صخبًا في توالي الأحداث، ومرحلة من مراحل تطول الدولة العربية الإسلامية بعد عصر صدر الإسلام. فلا بد من أن يدرس دراسة خاصة تخضعه إلى نظرة تحليلية لغرض قراءة الأحداث ومتابعة تدوينها من زاوية أخرى هي الاستعانة بالشعر في تفسيرها، بعد أن كان الباحث يركز على الروايات التاريخية ولا يولى الشعر الأهمية المطلوبة في تمثل الأحداث وكشف أبعادها الموضوعية وملابساتها التاريخية، وقد تنبه أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) في كتاب (نقائض جرير والفرزق) إلى ذلك حين اختط سبيلاً آخر هو بيان أثر الشعر في تدوين أحداث هذا العصر، وكان الدكتور نوري حمودي القيسي السبق حين اهتم بهذا الموضوع في كتابه (الشعر والتاريخ)، كما درسه زميلي محمد حسين حاسب الطرفي في رسالته للماجستير (دور الشعر في تدوين الأحداث التاريخية خلال القرن الثاني الهجري في العراق) وهي دراسة لم تف بالغرض المطلوب في دراسة العصر الأموي لذا رأيت أن أدرس هذا العصر دراسةً شاملةً تستوعبه من الناحيتين التاريخية والجغرافية وهذا ما تطلب من الباحث إجراء مسح يكاد أن يكون تاماً على التراث الشعري لهذا العصر وعلى المصادر التاريخية القريبة منه وذات الأهمية الخاصة في عرض وفهم الأحداث التاريخية وهذا ما يشكل نوعاً من الازدواج ما تناول الحدث التاريخي، أى أن يمتلك الباحث نظرة متجانسة تجمع بين تثبيت الحدث التاريخي وتفسير وتحليل ما قيل فيه من شعر، وهي نظرة مهما تجردت من نوازع النقد الأدبي والبحث التاريخي فإنها وليدة مزيج يحاول أن يصهر جانبيين يتقاربان حيناً ويتباعدان حيناً آخر، من هنا بدأت صعوبة التوازن والتوفيق فرأى

الباحث أن يعرض الحدث التاريخي مشفوعاً بالأصداء الشعرية، وقد جابه البحث حساسية التحليل وجسامة الأحداث وغازرة النصوص الشعرية أحياناً مما كشف عن حاجة ملحة إلى التسلح بالموضوعية والصبر ونفاذ البصيرة في استجلاء الموقف الشعري كى ينسجم مع الحدث وتوجهاته السياسية والاجتماعية والنفسية... وغيرها.

ولأن الشعر نص فضفاض مرتبط بهواجس النفس وباللغة التى تمنح الإحساس اهتماماً خاصاً، فينطق من آفاق الحدس ورؤية الشعور وخفائيه ليكون نافذة ذات وجهين: أحدهما، مباشر واضح وضوح الحدث. وثانيهما: مراوغ يتبدى حيناً ويتوارى حيناً آخر. فمن هنا برزت أمام البحث إشكالية التعويل على تفسير الشعر للحدث وكيفية التأثير فيه، ولعل الملتقى سيلفظ ذلك وتبينه بعد قراءة البحث وتتبع الأحداث ومجرياتها العديدة؛ لذا فإن الباحث لا يدعى الكمال فى هذا الجانب، ولكنه يرى أنه حرث بأرض لم تشبعها معاول الباحثين المحدثين حرثاً، وإن الكثير من الأحداث كان للشعر أثره فى إمطة اللثام عن تفاصيلها بما ينسجم وقوة الحدس الشعري ونفاذ رؤية الشاعر ذاته، فكان الشعر يفتح أفقاً عميقاً يبعث فى النفس إحساساً سامياً برقى العقل العربى ورفعة مداركه فى النظر إلى الأحداث وفى استلهاام المواقف الحاسمة والخطيرة، فكان خير ما يقنع النفس ويدارى اعتدادها بتناسكها الداخلى فى الصمود وإيثار الموت على الهزيمة أو الخيانة أو الذل بيتاً من الشعر يجعل طعم الموت سائغاً ومستطاباً ولعل موقف مصعب بن الزبير (ت، ٧٢ هـ/ ٦٩١م) فى اللحظات الحاسمة بين المهادنة والموت خير دليل على قوة المبادئ الإنسانية الخلاقة وتوغلها فى نفس العربى وتمكنها من وجدانه.

لقد جابه الباحث صعوبات منها صعوبة الحصول على المصادر والمراجع موضوع البحث وندرة الدراسات المتخصصة التى تجمع بين التحليل التاريخي الخالص للأحداث والتحليل النقدي للشعر، فجاهه بذلك إشكالية الجمع بين الجانبين، إذ دأب الباحثون على تناول جانب واحد وترك الآخر، فقد حفلت كتب الأدب بدراسات وافية عن الشعر فى العصر الأموى، كما دأب المؤرخون على دراسة

التاريخ السياسى لهذا العصر مع قلة الاهتمام بما قدمه الشعر من تأثير على الأحداث التاريخية، فلم تتوفر لدى الباحث المصادر أو المراجع التى تجمع بين الحدث التاريخى وما واكبه من أثر شعرى إذا استثنينا (نقائض جرير والفرزدق) و(الشعر والتاريخ) مما يجعل الأمر أكثر تعقيداً قد يدفع الباحث نحو مسالك غير محسوبة النتائج.

تحليل مصادر البحث:

لابد لكل بحث جديد يتناول الحقب التاريخية المنصرمة من مادة يتناولها فى الدراسة والتحليل، والعصر بهذه الحساسية والتشعب لابد وأن تعكس ذلك مصادر دراسته أيضاً، فكيف إذا جمع البحث بينها وبين المصادر الشعرية؟.

قام البحث على أساس عرض المادة فى مظانها التاريخية ثم بيان انعكاسها فى الشعر، فكانت حصيلة الشعر وافيةً ومتسعةً بما جعل من مهام الباحث أن يعتمد اعتماداً مباشراً على المصادر الشعرية، ثم المصادر التاريخية، ثم كتب التراجم، ويمكن ترتيب مصادر البحث كالاتى:

أولاً: الدواوين والأشعار:

يعد العصر الأموى عصرًا خصبًا أسهم فى نشاط حركة الشعر وتنامى قوته وازدياد أهميته بعد أن عانى تقلصًا واضحا فى عصر صدر الإسلام (عصر الرسالة النبوية الشريفة وعصر الخلفاء الراشدين) نتيجة انشغال المسلمين بالدعوة الإسلامية وحركات التحرير والفتوح، فقد زالت هذه العوائق وعادت القبائل العربية تحتفل بشعرائها ونشطت أسواق العرب فأخذت تحتفل بالشعراء وترعى المباريات الشعرية بين عمالقة الشعر، فكان سوق المربد فى البصرة يؤجج النقائض بين جرر (ت، ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، والفرزدق (ت، ١١٥هـ / ٧٣٣م)، والأخطل (ت، ٩٢هـ / ٧١٠م)، حتى كان ذلك مسرحاً لتأليب الصراعات وانتشار القصائد وبروز ظاهرة استخدام الشعر كأداة بيد الخلفاء والولاة وبيد خصومهم فى الأحزاب السياسية التى ناهضت الحكم الأموى.

اعتمد الباحث على نتاج شعراء النفاضة، والشعراء الذين واكبوا الأحداث ولقد بوصفهم أحد الجند أو الفرسان أو شعراء الفرق والثورات أو من مشاهير شعراء هذا العصر، أو من خلال دواوين أشعارهم التي نشرت بشكل مستقل والتي تولى تحقيقها محققون أكفاء، ودور نشر مشهود لها بالدقة والثقة، ومن هؤلاء الشعراء:

أبو الأسود الدؤلى، ظالم بن عمر بن سفيان (ت، ٦٧هـ / ٦٨٦م)، ويزيد بن المفرغ (ت، ٦٩هـ / ٦٨٨م)، وعبدالله بن الزبير الأسدي (ت، نحو ٧٥هـ / ٦٩٤م)، وعبيدالله بن قيس الرقيات (ت، ٧٥هـ / ٦٩٤م)، وسراقة بن مرداس البارقي (ت، ٧٩هـ / ٦٩٨م)، وأعشى همدان، عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارثي الهمداني (ت، ٨٣هـ / ٧٠٢م)، والحارث المخزومي (ت، ٨٥هـ / ٧٠٤م)، ومسكين الدارمي، وربيعة بن عامر (ت، ٨٩هـ / ٧٠٧م)، والعجاج، عبدالله بن رؤية التميمي (ت. نحو ٩٠هـ / ٧٠٨م)، وعدى بن الرقاع العاملي (ت، ٩٥هـ / ٧١٤م)، والقطامي، عمير بن شبيب (ت، نحو ١٠١هـ / ٧١٩م)، وكثير بن عبدالرحمن (ت، ١٠٥هـ / ٧٢٣م)، ونصيب بن رباح (ت، ١٠٨هـ / ٧٢٦م)، والأحوص، عبدالله بن محمد بن عاصم الأنصاري (ت، ١١٠هـ / ٧٢٨م)، وثابت بن كعب المعروف بثابت قطنة (ت، ١١٠هـ / ٧٢٨م)، والنابغة الجعدي، عبدالله بن المخارق (ت، نحو ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، والطرماح بن حكيم (ت، ١٢٥هـ / ٧٤٢م)، وأبى دهيل، وهب بن زمعة (ت، نحو ١٢٦هـ / ٧٤٢م)، والكميت بن زيد الأسدي (ت، ١٢٦هـ / ٧٤٤م)، ونصر بن يسار (ت، ١٣١هـ / ٧٤٨م)، ورؤية بن العجاج (ت، ١٤٥هـ / ٧٦٢م)، وقد جمعت هذه الدواوين وحققت على وفق منهج متقارب من حيث ترتيب القصائد، وهو ترتيب القوافي على وفق تسلسل حروف المعجم، وقد شدَّ بعض صنائع الدواوين الذين حققوها على مخطوطات سابقة أو دواوين جمعها رواة متقدمون، في إثبات ما جاء بالمخطوط ثم تقضى ما زاد على ذلك وترتيبه وجمعه في حقل مستقل، أو جمع ما ثبتت صحته نسبه إلى الشاعر بصورة مستقلة ووضع ما نسب إليه في حقل آخر.

كما استقصى الباحث ما جاء من شعر للخفاء الأمويين على وفق الطبقات الجديدة التي تولاهما محققو أكفاء فاستفاد من ديوان معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠ هـ/٦٦٩م)، وديوان ابنه يزيد (ت، ٦٤ هـ/٦٨٣م)، وديوان الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت، ١٢٦ هـ/٧٤٣م).

واستفاد الباحث أيضًا مما جمعه المرحوم الدكتور نوري هودي القيسي لجمهرة من شعراء العصر الأموي في كتابه (شعراء أمويون) فيما يتعلق ببعض الشعراء المقلين الذين واكبوا الأحداث وأسهموا في العديد منها من أمثال: مالك بن الريب (ت، ٤٤ هـ/٦٦٦م)، وحرثة بن بدر الغداني (ت، ٦٤ هـ/٦٨٣م)، وعبيد الله ابن الحر الجعفي (ت، ٦٨ هـ/٦٨٧م)، والمغيرة بن حبياء (ت، ٩١ هـ/٧١٠م)، وكعب بن معدان الأشقري (ت، ٩٥ هـ/٧١٣م)، وقد افرد المحقق مقدمة وافية لكل شاعر ثم رتب القوافي على وفق حروف المعجم.

وكان يهيم الباحث أن يطلع على التحقيق العلمي لكل شاعر أمكن الحصول على مجمع شعره فاستقصى ما نشر في المجالات المتخصصة مثل مجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلة المورد، ومجلة حوليات الجامعة التونسية، من خلال مجاميع أشعارهم من أمثال: زفر بن الحارث الكلابي (ت، ٧٥ هـ/٦٩٥م)، والأقيشر الأسدي (ت، ٨٠ هـ/٦٩٩م)، وأرطأة بن سهية (ت، ٨٦ هـ/٧٠٥م)، وعبد الله بن همام السلولي (ت، ٩٥-١٠٠ هـ/٧١٣-٧١٨م)، ونهار بن توسعة البكري (ت، بعد ١٢٠ هـ/٧٣٧م)، وأبي العطاء السندي، أفلح بن يسار (ت، نحو ١٨٥ هـ/٦٩٧م).. وغيرهم. هذا فضلًا عن المجاميع التي اضطلع بإعدادها بعض المحققين مثل (شعراء الخوارج) لإحسان عباس و(ديوان الخوارج) لنايف محمود معروف، و(شعراء ثقيف في العصر الأموي) لعيضة الصّواط، و(المستدرك في صناع الدواوين) للدكتور نوري القيسي وهلال ناجي.

كما حاول الباحث الاستفادة من النصوص الشعرية المبثوثة في كتب الاختيارات، وخصوصًا من الحماسة التي اشتملت على اختيارات مهمة في متابعة الأحداث التاريخية وبالذات في شعر من لم تحقق أو تجمع أشعارهم، كما في

حماسة أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت، ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، وحماسة الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، وحماسة البصرى، صدر الدين علي بن أبي الفرج (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، هذا فضلاً عما احتفظت به من شعر الكتب الموسوعية وكتب الاختيارات التي جمعت بين الاختيارات الشعرية والآراء النقدية وسرد بعض الأحداث التاريخية كما هي الحال لدى الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت، ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) في كتابه: (البيان والتبيين) و(الحيوان)، وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) في كتابه (عيون الأخبار)، والمبدر، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) في كتابه (الكامل في اللغة والأدب)، وابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) في كتابه (العقد الفريد)، والزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت، ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) في أماليه، والقالى، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) في أماليه أيضاً.. وغيرهم.

ويتفرد الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) في كتابه (الأغاني) في كونه موسوعة جامعة للأخبار والأنساب والأشعار والنقد الأدبي والموسيقا فقد رتبته على أساس ذكر الشاهد الشعري ومن عناه ثم يسترسل في مناسبة القصيدة وحياة الشاعر وجوانب أخرى من الأحداث التاريخية وما لها صلة بشعره وعصره.

ولم يكتف الباحث - في غالب الأحيان - بالإشارة إلى الدواوين ومجموعات الشعر، وإنما رأى أن يشير إشارة مزدوجة تجمع بين المصدر الشعري والمصدر التاريخي اللذين وردت فيهما الأبيات موضوع البحث توخيًا للفائدة العلمية المرجوة في التأكيد على أهمية اقتران الشاهد الشعري بالحدث التاريخي الذي واكبه وتفاعل معه، فاستشهد به المؤرخون بما يكشف عن تلازم الشعر بالأحداث التاريخية، وفي هذا دلالة واضحة على التواصل الحقيقي بين الشعر والتاريخ وتوكيد لتفاعلها وقدرتها على فهم الوقائع والمواقف بما يغني البحث ويثريه ويبعث فيه

روح الجدة والأصالة ويكشف بشكل لا يقبل اللبس عن العلاقة الحميمة بين أحداث التاريخ الكبرى والأحاسيس الإنسانية التي جسدها الشعر وأضفى عليها نوعاً من الحيوية والابتكار.

ثانياً: المصادر التاريخية

كانت الأحداث التاريخية هي سدى هذا البحث ولحمته الأشعار، وبتماسك هذين العنصرين استقام نسيجه وتماشج مزيجيه، فلا بد والحالة هذه من الاعتماد على المصادر التاريخية المناسبة في مد هذا السدى لترتيب السياق العام للبحث ليغدو متماسكاً تستجيب فيه النصوص الشرعية لتحديات الأحداث التاريخية. وكان عماد هذا السدى تاريخ خليفة بن خياط (ت، ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وهو مرتب ترتيباً حولياً، ويعد من الكتب التاريخية المبكرة التي لها أثرها في توثيق الأحداث، فكان خير عون لكتاب (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وقد تركز ثقل البحث عليه وهو مرتب ترتيباً حولياً على وفق التاريخ الهجري، ابتدأ فيه من بدء الخليفة وانتهى عند سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) وقد كان هذان المصدران هما البساط التاريخي للأحداث من حيث جوهر البناء التاريخي للبحث، وقد اتبع الطبري منهج المحدثين الذي اتبعه جماع الحديث النبوي الشريف، بأن يذكر الحوادث المروية بمقدار ما عنده من الطرق كما يذكر السند حتى يتصل بصاحبه ولا يبدى في ذلك رأياً في معظم الأحيان.

أسهم في إسناد الكتابين السابقين كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٩٨٩م) الذي جمع بين الأنساب والتاريخ والذي تناول فيه التراجم والأحداث المتعلقة بالأسر القرشية كالعلووين والأمويين والزبيريين، فكان منهجه يجمع بين منهج علم الأنساب ومنهج المؤرخين في دراسة الشخصيات وعلاقتها بأحداث عصرها، وما يلاحظ عليه أن ينتقى مادته بعد تصنيفتها ونقدها، ويحاول أن يعطى صورة محايدة ومتوازنة للأحداث، متجنباً تقديم روايات متعددة للحدث الواحد.

كما ساهم في تدعيم المصادر التاريخية كتاب (المعارف) لابن قتيبة، والذي استهله من بدء الخليقة، ثم تناول به أنساب العرب، ثم نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم أخبار الخلفاء الراشدين، وأخبار الصحابة والتابعين، ثم ما تيسر له من أخبار العباسيين، ثم افرد بابًا للأشراف المشهورين، وأصحاب الرأي، وأصحاب الحديث، ورواة الشعر، والمعلمين، والمهاجرين، والأوائل، والمساجد، وجزيرة العرب، وبلدان الفتوح، وأهل العاهات، والمنسويين إلى غير عشائريهم، كما ذكر قصص الأقسام التي سبقت الإسلام. هذا فضلًا عما اعتمده الباحث من كتب تاريخية لا بد من الاستفادة منها مثل كتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري (ت، ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) والذي جعله من بدء الخليقة فتابع فيه تاريخ الدولة العربية الإسلامية حتى وفاة المعتصم سنة (٢٢٧هـ/ ٩٠٤م)، وتاريخ المسعودي، علي بن الحسين (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٧٥م) المعنون (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وقد اقتصر الاستفادة من اليعقوبي والمسعودي على الشواهد الشعرية في غالب الأحيان.

كما استعان الباحث بكتابي (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، و(البداية والنهاية) لابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) وهما كتابان مرتبان حوليًا.

ثالثًا: التراجم

يقتضى البحث على وفق المنهج التاريخي أن يعرف الباحث أو يشير إلى مصادر ترجمة الشخصيات التي يتطرق إليها في بحثه، ولأن مساحة البحث زمنيًا امتدت في التمهيد منذ عصر ما قبل الإسلام حتى بدء نشأة الدولة الأموية، ثم تواصل البحث حتى نهايتها وظهور الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) فإن الباحث استفاد في هذا الجانب من الكتب التي عنيت بتراجم الصحابة والتابعين ومن تلاهم من شخصيات تاريخية كان لها أثرها في الأحداث مثل كتاب (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد (ت، ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) وهو منظم على المدن والنسب، وتميز بالسعة والشمول والدقة، وكتاب (الثقات) لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت، ٣٥٤

هـ/ ٩٦٥م) وهو مؤلف ضخمة تناول فيه الثقات الذين يجوز الاحتجاج بأخبارهم. وقد صدره بأخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن بعده أوجز أخبار الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين، والخلفاء العباسيين حتى أيامه، ثم ذكر بعد ذلك على المعجم أسماء الصحابة ثم التابعين وأتباع التابعين وتبع أتباع التابعين إلى زمانه، وقد اختص بتراجم الصحابة ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله النمرى القرطبي (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) في كتابه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، وابن الأثير (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) في كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة) وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) في كتابه (الإصابة في تميز الصحابة) وقد رتب هذه المؤلفات على حروف المعجم وأفردت أبواباً خاصة بالكنى والنساء وغيرهم، وقد كان كتاب (تهذيب التهذيب) لابن حجر معنياً بتراجم الرجال، وهو واسع ومرتب على حروف المعجم مختصر عن (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للمزى، يوسف بن عبدالرحمن (ت، ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

أما تراجم الشخصيات العامة الأخرى، فقد استعان الباحث بمؤلفات الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) مثل (سير أعلام النبلاء) والذي ضم تراجم الرجال المهمة، ثم كتابه (العبر في خبر من غبر) والذي تناول فيه تراجم الرجال على وفق الترتيب الزمني للأحداث، ثم كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) الذي رتب على وفق حروف المعجم.

ومن تراجم الشخصيات العامة كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان، أحمد بن محمد أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وهو مرتب على حروف المعجم تناول فيه التراجم الرئيسة. فضلاً عن التراجم العارضة الأخرى، وهو يعد موسوعة مهمة في بابها، لكن ترجماته تختص بالشخصيات المشهورة، بينما يبقى العبء الأكبر والجهد الأضخم هو في تراجم الشخصيات غير المشهورة وأكملة بكتاب (وفات الوفيات) للكاتب، محمد بن شاكر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

كما استعان الباحث بموسوعة كبيرة ومهمة تعد الفريدة في نوعها هي كتاب (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) بطبعة حديثة تكونت

من (٧٣) جزءًا ورتبت على حروف المعجم مع أفراد أبواب خاصة للكنى والألقاب والنساء المجهولات، مضيئًا إلى ذلك مما استدل به من كتب الأنساب التي ذكرت بعض الشخصيات التي لم يترجم لها معاصروها مثل (جمرة النسب) لابن الكبي، هشام بن محمد (ت، ٢٠٤هـ/٨١٩م) و(جمرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسي، على بن أحمد بن سعيد (ت، ٤٥٦هـ/١٠٦٣م). وفي تراجم رجال الأندلس رأى الباحث الاستفادة من كتاب (بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس) للضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت، ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) وهو مرتب على حروف المعجم.

وفي نطاق تراجم الأدباء تمت الاستفادة من تراجم الشعراء والأدباء التي تنير الطريق وتوضح الالتباس بين الشخصيات، فاستفاد من كتاب (طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي (ت، ٢٣١هـ/٨٤٥م) وقام على تقسيم الشعراء إلى عدة طبقات هي: الجاهليون، وأصحاب المرائي، وشعراء القرى، الإسلاميون، وطبقات الرجاز. وقد تأثر بهذا المنهج ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء)، واقتفى اثر هذين الكتابين وأكمل ما لم يعاصراه عبدالله بن المعتز (ت، ٢٩٦هـ/٩٠٨م) في كتابه (طبقات الشعراء). استهدفت أيضًا من تراجم ونصوص الأمدى، الحسن بن بشر (ت، ٣٧٠هـ/٩٨١م) في كتابه (المؤتلف والمختلف) والمرزباني، محمد بن عمران (ت، ٣٨٤هـ/٩٩٤م) في كتابه (معجم الشعراء) فقد قام الأول على ترتيب الشعراء على وفق ألقابهم لبيان ما اختلف واختلف منهم، ابتداءً بمن اسمه عمرو وانتهى عند حرف الياء وأفرد بابًا لمن غلبت عليه كنيته والكتاب وصل إلينا ناقصًا، كما استعان الباحث بكتاب المرزباني (الموشح) الذي يعد كتابًا نقديًا بالدرجة الأساس.

وقد أسهمت كتب تراجم الشعراء في إنارة بعض جوانب البحث والتعريف بالشعراء مثل كتاب (سمط اللآلي في شرح أمالي القالي) لأبي عبيد البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت، ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) و(شرح شواهد المغني)

للسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وكتاب ياقوت الحموي (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) المعروف بـ (معجم الأدباء) الذي يعد موسوعة مهمة في تراجم المؤلفين والأدباء وهو مرتب على وفق حروف المعجم.

واستعان الباحث بالتراجم المتخصصة بالأسماء والأسر مثل كتاب (من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام) لابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ/٩٠٨م)، وكتاب (المحمدون من الشعراء وأشعارهم) للقفطي، علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وهما كتابان واضحان في اهتمامهما بأسماء من اسمه عمرو أو محمد، أما كتب الأسر فمنها كتاب (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الأصفهاني، و(نسب قريش) للزبيرى، مصعب بن عبدالله (ت، ٢٣٦هـ/٨٥٠م)، و(نسب قريش وأخبارها) لزيير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/٨٦٩م) وهى التى تخصصت بتراجم آل الزبير وأخبارهم.

وفى الترجمة للبلدان اعتمد الباحث اعتمادًا مباشرًا على كتاب (معجم البلدان) لياقوت وهو مرتب على وفق حروف المعجم، كما استعان بكتاب (معجم ما استعجم) لأبي عبيد البكرى، وفى التمهيد استفاد البحث من كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، ٣٣٤هـ/٩٤٥م) وبكتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) للقرظيني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، ٦٢٨هـ/١٢٣٠م).

أما فى التعريف بالجماعات والفرق فقد جرت الاستفادة من كتب الفرق التى تتشابه فى ترتيب موضوعاتها وتقترب بما يجعل تعريف بعض الفرق من كتاب إلى آخر يكاد يكون واحدًا، فقد بدأت من ظهور الخوارج وما تلا ذلك من فرق وجماعات كل حسب طريقتة فى التعريف، ومن ذلك ما طرحه الأشعري، على بن إسماعيل (ت، ٣٣٠هـ/٨٣٤م) فى كتابه (مقالات الإسلاميين)، والبغدادى، عبدالقاهر: بن ظاهر (ت، ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) فى كتابه: (الفرق بين الفرق) و(المِلل والنحل)، والشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت، ٥٤٨هـ/١١٥٣م) فى كتابه (المِلل والنحل).

هذا فضلاً عن المصادر الأخرى التي اعتمد البحث في فصوله المتعددة هذه، وهي مصادر كثيرة ومتشعبة سدت فراغاً كبيراً كان البحث بحاجة إليه في أكثر من جانب، من حيث التاريخ واللغة ونقد الشعر.

أسلوب عرض البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وخمسة فصول، كان الفصل الأول بعنوان الشعر والتاريخ) وهو دراسة تمهيدية عن علاقة الشعر بالتاريخ بدأت بتوطئة عن أهمية الشعر عند العرب وأثره في التدوين التاريخي، نتيجة الاتصال الروحي بين الشعر والتاريخ لأن الشعر يسد ثغرات كثيرة في دراسة التاريخ ويعمل على كشف الأسباب التي أثرت في معارك التاريخ الكبرى، لذا كان الشاعر لسان حال قبيلته والمتحدث باسمها، فكان للشعر أثره في تدوين الوقائع والأيام في تدوين الأخبار والسير والأنساب وتحديد المواقع والأمكنة، إبراز القيم الاجتماعية والأعراف والمعتقدات، وتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي الشريف وأحد شواهد اللغة والنحو... وغيرها.

واستعرض البحث هذا الأثر بصورة موجزة في عصر ما قبل الإسلام ثم عصر الرسالة الإسلامية، ثم عصر الخلفاء الراشدين.

تناول الفصل الثاني العهد السفيناني (٤٠/٦٤هـ/٦٦٠-٦٨٣م) والذي تضمن أيام معاوية بن أبي سفيان بن حرب (٤٠-٦٠هـ/٦٦٠-٦٧٩م) وابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م)، ثم أيام معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ/٦٨٣م) وهو عهد خصب ومشحون بالصراعات والأحداث الكثيرة وفيه بدا أثر الشعر واضحاً في تدوين الأحداث، وفيه اتخذ الباحث سيقاً ظل ثابتاً هو عرض الحدث التاريخي بالتاريخين الهجري وما يقابله بالتاريخ الميلادي وذلك بالتاريخ الميلادي وذلك بالاعتماد على تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ الطبري يساعدهما في ذلك كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري وكتاب (المعارف) لابن قتيبة وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير... وغيرهم.

بينما تناول الفصل الثالث عهد كل من مروان بن الحكم بن أبي العاص (٦٤-٦٨٣/٦٥-٦٨٤م)، وابنه عبدالمملك بن مروان بن الحكم (٦٥/٦٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)، والذي استقر الرأي أن يكون بعنوان (المروانيون المتقدمون) لأنه تناول انتقال السلطة من بنى سفيان إلى آل مروان فاستقر في أيديهم، واستطاعوا القضاء على خصومهم في كل الأمصار، وقد شهدت أحداثه تصاعداً كبيراً كان فيها الشعراء يواكبون الأحداث ويسهمون فيها إسهاماً مباشراً، كما كان عبدالمملك بن مروان يولي اهتماماً خاصاً للشعر والشعراء ويرى فيهما وسيلة إعلامية مهمة.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان (المروانيون المتوسطون) شمل الحقبة الزمنية (٨٦-١٠٥هـ/٧٠٥-٧٢٣م) وهو يتناول أيام الوليد بن عبدالمملك بن مروان (٨٦-٩٩هـ/٧٠٥-٧١٤م)، وأخيه سليمان بن عبدالمملك بن مروان (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م)، وابن عمهما عمر بن عبدالعزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) وقد شهد متغيراً مهماً هو تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة ومحاولته إصلاح مؤسسات الدولة، ولكن مدة حكمه القصيرة حالت دون ذلك، وقد وثق الشعر هذه الأحداث ووصفها بوضوح فعبّر عن أثر الشعر فيها بما ينسجم مع منطلقات البحث ونتائجه. وجاء بعده يزيد بن عبدالمملك بن مروان (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) وفي عهده بدأ الضعف يسرى في جسد الدولة واستعرت الصراعات القبلية.

أما الفصل الخامس والأخير فهو بعنوان (المروانيون المتأخرون) وشمل الحقبة التاريخية الأخيرة من آل مروان والتي امتدت من (١٠٥-١٣٢هـ/٧٢٣-٧٤٩م) وبنهايته كان أقول الدولة الأموية وظهور الدولة العباسية، وتناول البحث فيه عهد هشام بن عبدالمملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) آخر من تولى الخلافة من أبناء عبدالمملك ثم انتقلت فيما بعد على حفيديه: الوليد بن يزيد بن عبدالمملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م)، ويزيد بن الوليد بن عبدالمملك (١٢٦هـ/٧٤٣م)، ثم انقلت بعد صراع دام بين أبناء هذه الأسرة إلى يد مروان بن محمد بن مروان (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م) وقد كان الشعراء وبالذات شعراء

خراسان يوثقون الأحداث بوصفهم شهودها وفرسانها، لهذا أعطى الشعر صورة واضحة عن الصراع المستديم بين سكان البلاد من السغد وبين العرب الفاتحين تجلت أبرز ملاحظها في تثبيت الوقائع والأماكن والشخصيات بما يجعل الشعور الإنساني متواصلًا مع مواطن الصراع وأبعاده وخفاياه.